@Antelias. Diocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد أحد الشعانين

الأخت راغدة عبيد (ر.ل.م.)

(سفر زكريا: ٩ / ٩ - ١١+ ١٥أ + ١٦ - ١٧)

٩ اِبتَهِجي جِدًّا يا بِنتَ صِهْيون واْهتِفي يا بنتَ أُورَشَليم. هُوَذا مَلِكُكِ آتِيًا إِلَيكِ بارًّا مُخَلِّصًا وَضيعًا راكِبًا على حمارٍ وعلى جَحشٍ ابْنِ أتان.

١٠ وأَستَأصِلُ المَركَبَةَ مِن أَفْرائيم والخَيلَ مِن أُورَشليم وتُستأصَلُ قوسُ القِتال ويُكَلِّمُ الأُمَمَ بِالسَّلام ويَكونُ سُلْطانُه مِن البَحرِ إِلى البَحْر ومِنَ النَّهرِ إِلى أَقاصي الأَرْض.

١١ وبِدَم عَهدِكِ أَنتِ أَيضًا أُطلِقُ أَسْراكِ مِنَ الجُبِّ الَّذي لا ماءَ فيه.

١٥أ رَبُّ القُوَّاتِ يَستُرُهم.

١٦ والرَّبُّ إِلهُهم يُخَلِّصُهم في ذلك اليَومِ كغَنَمِ شَعبِه مِثلَ حِجارَة تاجٍ تَتَلأْلأُ على أَرضِه

١٧ فإِنَّه ما أَسعَدَه وما أَجمَلَه! القَمحُ يُنْمي الفِتْيانَ والنَّبيذُ العَذارى.

مقدّمة

في عِيدِ الشَّعَانِينِ، يُحَقِّقُ رَبُّنا يَسُوعُ المَسيحُ "المَجيءَ المَسيحِيَّ" الَّذي تَنَبَّأَ عَنهُ النَّبيُّ زَكَرِيَّا في سِفْرِه. فَيَدْخُلُ أُورَشَلِيمَ، مَدِينَةَ اللهِ، بِبَسَاطَةٍ وَتَواضُعٍ. وَسْطَ هُتَافَاتِ الأَطفَالِ الأَبْرِيَاءِ وَتَعبيرَاتِهِم عَنِ فَرَحِهِم بِمَلِكٍ لَيسَ مِثلَ سَائِرِ المُلوكِ، بَلْ فَقيرًا، بَسيطًا، يَركَبُ أَتَانًا. مَعَ أَجواءِ الفَرَحِ الَّتي تُخبِرُنا عَنها نُبوءَةُ زكريَّا وَإِنجيلُ يوحنَّا. تَأتي رِسالَةُ القدّيسِ بولُسَ إِلى أَهلِ فيلِبِّي، مَملوءَةً بِعِبارَاتِ الفَرحِ وَالبَهجَةِ وَالمَحَبَّةِ الَّتي يَحمِلها الرَّسولُ في قَلْبِهِ إِلى أَبنائِهِ. كَما تُعَبِّرُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ، عَنِ الحُبِّ الكَبيرِ وَالفَرَحِ العَظِيمِ اللَّذَينِ عَبَّرَ عَنهُما أَهلُ أُورَشَليمَ وَأَطفَالُها بِدُخولِ الرَّبِّ إِلى مَدينَتِهِ، مُتَمِّمًا بِهَذا النُّبوءَاتِ القَديمَةِ، وَمُظْهِرًا أَنَّهُ المَسيحُ المُنتَظَرُ وَابْنُ اللهِ الحَقّ. مَعَ القِراءَاتِ الثَّلاثَةِ لِعِيدِ الشَّعَانِينِ، تَدْعونَا كَنيسَتُنا المَارونِيَّةُ اليَوم، إِلى اسْتِقْبَالِ الرَّبِّ يَسوعَ في حَيَاتِنا كَما اسْتَقبَلَهُ الأَطفَالُ، بِبَسَاطَةٍ وَبَهجَةٍ، بِهُتَافٍ وَعِيد، بِقُلوبٍ جَميلَةٍ وَنِيَّاتٍ صَافِيَةٍ. إِنَّ مَلِكَ حَيَاتِنا وَمُخَلِّصَنَا آتٍ، فَكَيفَ نَسْتَقْبِلُهُ؟

إِنَّ قِراءَةَ العَهدِ القَدِيمِ الخَاصَّةِ بِهَذا العِيدِ، هيَ نُبوءَةٌ تَتَضَمَّنُ مَوضوعَ "المَجيءِ المَسيحِيِّ المُخَلِّص". فَاللهُ آتٍ، وَسَيَتَدَخَّلُ بِذَاتِهِ وَيَضَعُ حَدًّا لِلحُروبِ وَالسَّبي وَأَنواعِ الاضطِّهَادَاتِ الَّتي قَاسَى مِنها شَعْبَهُ الأَلَمَ وَالعُنفَ وَالعُبودِيَّةَ. وَسَيَكونُ مَجيئُهُ مُلوكِيًّا، أَي كَمَلِكٍ ذُو سُلطَانٍ مُطلَقٍ يُحَقِّقُ الخَلاصَ لِشَعبِهِ.

٩ اِبتَهِجي جِدًّا يا بِنتَ صِهْيون واْهتِفي يا بنتَ أُورَشَليم. هُوَذا مَلِكُكِ آتِيًا إِلَيكِ بارًّا مُخَلِّصًا وَضيعًا راكِبًا على حمارٍ وعلى جَحشٍ ابْنِ أتان.

إِنَّنا في القِسمِ الثّاني من سِفرِ النَّبيّ زكَريَّا (٩ - ١٤)، وَيُسَمِّيهِ بَعضُ الشُّرّاحِ "زكريّا الثّاني"، بِسَبَبِ الفُروقاتِ في الأُسلوبِ وَالمَواضِيعِ وَالتَّعابير الَّتي يَحتَويهَا القِسمُ الأَوَّل منَ السِّفر (١ - ٨). يَبدَأُ نصُّ النُّبوءَةِ بِالآيَةِ الَّتي اسْتَعَانَ بِها الإِنجيليُّونَ الأَربَعة، كَما يُخبِرُنا إِنجيلُ يوحَنَّا اليوم، لِيُخبِرونَا عن دُخولِ يَسوعَ إِلى أُورَشَليم (متى ٢١ / ١ - ١١؛ مر ١١ / ١ - ١١؛ لو ١٩ / ٢٩ - ٤٠؛ يو ١٢ / ١٢ - ٢٢). يَحوِي هذا القِسمُ الثّاني، كَثَافَةَ صُوَرٍ عنِ مَجيءِ المَسِيحِ المُنتَظَر، الَّذي سيَكونُ أَعظَمَ منَ الإِسكندَرِ الكَبير، المَذكورُ رمزيًّا في الآيَاتِ الأُولَى (زك ٩ / ١ - ٨). في هَذهِ الآيَاتِ، يَتحَدَّثُ الكَاتِبُ عن أَوائِلِ العَصْرِ اليونانيّ أي بينَ ٣٣٠ - ٣٠٠، وَاصِفًا بِدِقَّةٍ حَملَةَ الإِسكَندَرِ الكَبيرِ العَسكَريَّة سنة ٣٣٢ على مدُن شاطِئِ البَحرِ الأبيَضِ المُتوسِّط وَالتي أَدَّت إِلى خَرَابِ مَدينَةِ صور. رَغمَ أَنَّ هَذا الإِسكَندر أَعطى اليَهودَ إِمتِيازاتٍ مُهِمَّةٍ، إِلاَّ أَنَّ المَسيحَ الآتي سَيَكونُ المَلِكَ المِثَالِيَّ الَّذي يَتَسَلَّطُ بِالتّواضُعِ وَالبَرَارَة.

تبْدَأُ النُّبوءَةُ بِدَعوَةٍ لِلفَرَحِ وَالبَهجَةِ، مُوجَّهةٍ إِلى بِنتِ صِهيونَ أَو بِنتِ أُورَشَليمَ أَي إِلى شَعبِ اللّهِ، المَرموزُ إِلَيهِ بِعَروسِ الرَّبِّ المَسِيح (راجع ٢مل ١٩ / ٢١). فَالعَريسُ آتٍ وَهوَ مَلِكٌ لَيسَ كَالمُلوكِ، يَتَمَيَّزُ بِصِفَاتٍ خَاصَّةٍ، فَهوَ بارٌّ وَهذِه صِفَةٌ يَتَمَيَّزُ بِها "المَسيحُ المَلِكُ" في سِفْرَي أَشعيا (١٩ / ١؛ ١١ / ٤؛ ١٦ / ٥) وَإِرميا (٢٣ / ٥) وفي المَزمور ٧٢/ ١: "أَللّهمّ اجْعَل أَحْكَامَك لِلمَلِك وَعَدْلَكَ لابْنِ المَلِك". وَالصِّفَةُ الثّانِيَةُ لِهذا العَرِيسِ المَلِك هي "التَّواضُع"، مُتَخَلِّيًا كُلِيًّا عَن مَظَاهِرِ الأُبَّهَةِ المَعروفَةِ لِمُلوكِ هَذا العَالَم، فَهوَ يَركَبُ حِمارًا وَجَحشًا ابْنِ أَتَان، رَمزَينِ لِلتَّواضُعِ العَمِيقِ وَلِلفَقرِ وَالبَسَاطَةِ وَالطَّاعَةِ لِإِلَهِهِ (راجع تث ١٧ / ١٨ - ٢٠). فَلا يَرْكَبُ مَركَبَةً وَلا خَيْلاً وَلَيسَ لَهُ جُنودٌ. إِنَّ شَعبَ إِسرائيلَ مَدعُوٌّ للفرحِ بِهَذا المَلِكِ المُتواضِعِ، الفَقِير.

هَذا الحَدَثُ، تَذكَّرَهُ تَلامِيذُ الرَّبِّ يَسُوع بَعدَ قِيَامَتِهِ منَ الأَموات: "ووَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَرَكِبَ عَلَيْه، كَمَا هُوَ مَكْتُوب: «لا تَخَافِي، يَا ابْنَةَ صِهْيُون، هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي رَاكِبًا عَلى جَحْشِ ابْنِ أَتَان». ومَا فَهِمَ تَلامِيذُهُ ذلِكَ، أَوَّلَ الأَمْر، ولكِنَّهُم تَذَكَّرُوا، حِينَ مُجِّدَ يَسُوع، أَنَّ ذلِكَ كُتِبَ عَنْهُ، وأَنَّهُم صَنَعُوهُ لَهُ." (يو ١٢ / ١٤ - ١٦).

١٠ وأَستَأصِلُ المَركَبَةَ مِن أَفْرائيم والخَيلَ مِن أُورَشليم وتُستأصَلُ قوسُ القِتال ويُكَلِّمُ الأُمَمَ بِالسَّلام ويَكونُ سُلْطانُه مِن البَحرِ إِلى البَحْر ومِنَ النَّهرِ إِلى أَقاصي الأَرْض.

نهُنا، يَتدخَّلُ اللّه بِصورَةٍ نِهائِيَّةٍ لِيُحَقِّقَ خَلاصَ الشُّعوبِ الغَريبَةِ المُجَاورة أي الأُمَم. تدخُّلُ اللّهِ يكونُ بِواسِطَةِ مُرْسِلِهِ، أَي المَلِكِ المتواضِعِ وَالفَقير، عَبرَ شَنِّ حُروبٍ كَبيرَةٍ، ضِدَّ جَميعِ وَسَائِلِ الحُروبِ وَالدَّمارِ وَالخَرَاب. ضِدَّ المَركَباتِ الَّتي دَمَّرَت البُيوتَ وَنَقَلَتِ الأَسْرَى بَعيدًا عن

بُلدَانِهِم، وَضِدَّ الخَيلِ الَّذي دَخَلَ عَليهِ العَدُوُّ وَأَحرَقَ أُورَشَليمَ وَقتلَ سُكَّانَها بِالسَّيف. حَربُ اللّهِ هَذه، هيَ ضِدَّ قِوى الشَّرِّ وَالدَّمارِ في العالَم، وَسَتَؤُولُ إلى جَمعِ شَملِ المُشَتَّتينَ من أَراضِيهِم، أَينَما كَانوا، وَمن أَيِّ دينٍ وَعرقٍ كَانُوا. وَسُلطَانُ هَذا المَسيحِ المُرسَلِ مِنَ اللّهِ، يَشْمُلُ الأرضَ كُلَّها، وَحُدودُها لا تكونُ بَعدَ اليومِ تِلكَ التَّقليدِيَّةَ المَعروفَةَ أَي شِمالاً وَجَنوبًا، شَرقًا وَغربًا، بَل نِطَاقُ حدودِها لامَحدودٌ، يَبدَأُ بِالبَحرِ الَّذي لا مَسَاحةَ لَهُ، وَيَنتَهي بِهِ لِيَصِلَ إلى أَقاصِي الأَرض. فَالحَرب الَّتي يَشُنُّها المَسيحُ الآتي، هيَ حَربٌ تَطْهيريَّةٌ تَؤُولُ إلى خَلاصِ الشُّعوبِ الغَريبَةِ وَانتِشَارِ السَّلامِ في العَالَم وَبينَ الشُّعوبِ المُختَلِفَة لِتَتمكَّن مِنَ الدُّخولِ في شَعبِ اللّه، وَالإِيمَانِ بِاللّهِ وَبِمَسيحِهِ.

١١ وبِدَم عَهدِكِ أَنتِ أَيضًا أُطلِقُ أَسْراكِ مِنَ الجُبِّ الَّذي لا ماءَ فيه.

أَلأَسْرَى المُشَارُ إِلَيهِم هُنا، هُم أَعضَاءُ الشَّتاتِ البَاقي في مناطِق أَشُور وَمِصر المَذكورَتَين بِطريقَةٍ رمزيَّةٍ، فَالخَيلُ يَدُلُّ على أَشور وَالمَركبَةُ على مِصر. فقَد شَهِدَت مِصرَ على قُدومِ عدَدٍ كبيرٍ منَ السُّجَناءِ اليَهودِ سنة ٣١٢ ق.م.، عَلى أَثَرِ اسْتيلاءِ بَطليمُس الأوّل سُوتير على أُورَشَليم. في هَذِهِ الآيَةِ رَمزٌ إِلى عَهْدِ الرَّبِّ معَ شَعْبِهِ ، الَّذي يَذكُرُهُ الرَّبُّ دَائمًا وَهوَ أَمِينٌ لَهُ فَلا يَنْسَاهُ، وَلأَجْلِهِ سَيُطْلِقُ الأَسْرَى أَي شَعبَهُ المَنفِيَّ إِلى بُلدانِ العُبودِيَّةِ المَرموزِ إِلَيها بِالجُبّ القَاحِل، لِلدَّلالَةِ عَلى قَسَاوَةِ سِنِي الجَلاءِ الطَّويلَة التي عَانَى مِنها شَعبُ اللّه: "وَأَخذ موسى الدَّم ورَشَّ على الشَّعبِ وَقال: هوذا دمُ العَهدِ الّذي قطَعهُ الرَّبُّ معكم على جميعِ هذه الأَقوال" (خر ٢٤ / ٨). دَمُ هذا العَهدِ سَيُخَلِّصُ الشَّعبَ وَيُعيدُ إِليهِ حُريَّتَهُ، فَرَغمَ خَطايَا الشَّعبِ المُتكَرِّرَة، ألرَّبُّ لا يَخونُ عَهدَهُ أَبدًا، بل يَذكُرُهُ وَيَغفِرُ لأَنَّهُ إِلهُ المحبَّةِ وَالخَلاص.

١٥أ رَبُّ القُوَّاتِ يَستُرُهم.

١٦ والرَّبُّ إِلهُهم يُخَلِّصُهم في ذلك اليَومِ كغَنَمِ شَعبِه مِثلَ حِجارَة تاجٍ تَتَلأْلأُ على أَرضِه

١٧ فإِنَّه ما أَسعَدَه وما أَجمَلَه! القَمحُ يُنْمي الفِتْيانَ والنَّبيذُ العَذارى.

هُنا تَغيبُ صُورَةُ المَسيحِ المَلِكِ الآتي لِخلاصِ شَعْبِهِ، لِيَكونَ تَحقيقُ الخَلاصِ على يَدِ الرَّبِّ وَحْدِه. تَحَقَّقَت هَذِهِ النُّبوءَةُ عِندَ دُخولِ الرَّب يسوعَ إِلى أُورَشَليمَ، كَمَلِكِ السَّلام. فَالشَّعبُ هتَفَ لَهُ: "هوشَعنا، مُبارِكٌ الآتي بِاسمِ الرَّبِ، ملكِ إِسرائيل" (يو ١٢ / ١٣). في الرَّبّ يسوع تَحَقَّقَت صورةُ المشيحِ الرَّاعي الصّالحِ الّذي يَجمعُ حولَهُ شعبَهُ كَما يجمَعُ الرَّاعي خِرافهُ، وَيكونونَ أَثمنَ بَاكورَةٍ لهُ وَيَفتخرُ بِهم كما يَفتخِرُ المَلِكُ بِتاجِ مُلكِهِ المُرصَّع بالحِجارةِ الكَريمة. إِنّها قمَّةُ السّعادةِ لِلشَّعبِ وَلِلطّبيعةِ التي تُشَارِكُ الفرحَ بِجمَالِها الخلّاب، بِثمارِ الأَرضِ، بِالقَمحِ وَبالنّبيذِ.

خلاصة روحيّة

إِنَّ نُبوءَةَ زكريّا تَدعو كُلَّ الشَّعوبِ المَقهورَةِ وَالمَنكوبَةِ، بِالخلاصِ، فلا تَسْأَلُ عن دينٍ ولا عَن انتِماءٍ. بَل تُبَشِّرُ بِمَجيءِ الرَّبّ الّذي لا يُفرِّقُ بينَ أَبناءِهِ. فهوَ يَعلَمُ بِآلامِهم وَبِقساوةِ حُكّامِ الأَرضِ وَملوكِها المتسَلِّطينَ. وَيُريدُ أَن يَهبَهُم الخلاصَ وَالسَّلامَ وَفرحَ العَودَةِ إلى أَرضِهم.

وَاليَومَ، لِنَفتَح قُلوبَنا لِمجيءِ الرَّبّ. لِنُشارِكَ الأَطفالَ وَالرُّضَع فرَحهُم وَبهجَتهُم مُعلِنينَ إِيمانَنا بِالرّب يسوعَ ملكًا وَمشيحًا، متواضِعًا وفقيرًا، بارًّا وَبسيطًا. وَلْنَدعوهُ لِيَأتِ وَيَنشُرَ السّلامَ في شَوارِعنا وساحَاتِنا، في بُيوتِنا وَعيالِنا، في وَطنِنا وَعَالمِنا. لِنَسيرَ معًا وراءَهُ كَغنمٍ مَرعاهُ، لِأَنّنا بهِ نجدُ حُريّتنا المَسْلوبَةَ، وَغُفرانَ خطايَانا وَالطُّمأنينَةَ والأَمانَ. علَّ رؤَساءَ الدُّولِ يَتمثَّلونَ بِهِ متواضِعًا رَؤُوفًا، سيِّدًا مُخلِّصًا وراعِيًا صَالحًا لِشَعبِه.